

حاولت أتلف وهجا ، فأمطر حزني
وعند أنهار هباتك قلت لأرضي تبارك
هذا الربيع ، نلقي هبات يديه ، فأزهر
حزني
وقام التعارض سدا كما الموت ، حال
التعارض دون اندماج العناصر
شمسك ظلت قصية ...
وأرضي ظلت عصية

ومثل هذا الاختصاص في موضوع شعري ما ، والدوران حوله والنهل من ينبوعه ،
وتقليبه على أوجهه ، واستنفاد طاقاته ليس أمرا سهلا في ميدان الخلق الفني إذ أن
التجربة الواحدة مهما كانت ثرة وغنية ، لا بد لها أن تخبو مع تكرار صياغتها ، فما بالك
بموضوع مثل موضوع فلسطين وضياعها تنسم معطياته بالدمع والغربة والقهر ، وهو
شغلنا الشاغل منذ ما يقرب من نصف قرن وقد سئم الناس من قراءة آثاره لأنها توحى
باللاجدوى والعبث ؟ ..

لقد عانى السياب معاناة قاتلة اثناء مرضه من ضهور تجربته الشعرية وتقلصها
ووجدانيتها ودورانها الدائم حول فكرة الموت والخوف منه ووداع العالم الى غير رجعة
 وتمثل هذا الامر اكثر ما تمثل في دواوينه الاخيرة : « شناسيل ابنة الجلي » و « المعبد
الفريق » و « منزل الاقنان » حيث حاول السياب ان يعوض عن فقر المضمون وتكراره
بلعبة الشكل والصياغات المستجدة وخاصة في مجالات الموسيقى والتنويع عليها .

لكن فدوى طوقان عامدة متعمدة قصرت موضوع مجموعتها هذه على مأساة فلسطين
كي تقول بمعنى من المعاني انه لا يشغلها شيء في الوجود ويؤرق حياتها ، كما يشغلها امر
وطنها المنهوب ... انه موقف التزامي صميمي نابع عن صدق شخصي وفني انعكس في
كل شطرة وفي كل مقطع وفي كل قصيدة من صفحات المجموعة حيث يشعر القارئ لها
بنكهة فلسطين ، جبالها ووهادها ، مدنها وقراها ، وشوشة الرياح في فضائها ، رقرقة
الجداول في بساطيتها ، ذكرياتها الدينية والنضالية العطرة ، ثم فدائيبها وشهادتها وعلى
راسهم الشهيد البطل (وائل زعيتر) الذي وضع برسالته الحقيقية الفلسطينية امام عيون
العالم المضلل واللامكترث :

وجهك الغائب يلغنا على صدر الجريدة
وعلى نظرة عينيك البعيدة
نحن نمضي ونسافر
ونلاقيك ، نلاقيك على
قمة الدنيا وحيدا يا بعيدا يا
تريبا ، يا الذي نحويه فينا في الخلايا
في مسام الجلد ، في نبض الشرايين التي
وترها الحزن المكابر
يا بعيدا يا تريبا ، ثم على الصدر الذي
يفتحه (عيبال) من أجلك أسند
راسك الشامخة اليوم الى « القبة »
فالصخرة في القدس احتوتك الان
حين الموت اهلك الحياة ...